مجلة المجمع العلمي

الذاكرة وترسيم دالات الأداء
في ديوان الدليمي

الدكتورة نوافل يونس الحمداني
كلية التربية للعلوم الانسانية
جامعة ديالى

الملخص :

فتقت تجربة (عمر الدليمي) الشعرية محاور مهمة من مكنونات إبداعه المتمخضة عن تلقائية عواطفه المنسجمة مع رؤية ثقافية ، يزاوج فيها بين المخبوء والمعلن ، وبين القصد والمصادفة ، وتبتني على التوافق والتصادم أو المقاطعة مع نمط التلقي ، ولاسيما أنه ولج غمار مغامرته الكتابية بشيء من العفوية في تناول المهمّش والبسيط أحيانا زيادة على الجرأة واقتحام فنارات مسكونة بغير قليل من الوعورة والحظر أحيانا أخر .

إن الشعرية النوعية لا تتبدى بمستواها الظاهر من الدلالات فحسب بل من نسيج العمل الشعري وعلاقاته ، وما يتولد عنه من إيماءات ومدلولات مبتكرة ، وهذا ما دفع بالبحث إلى محاولة الكشف عن دالات الأداء ومرجعياته عند (عمر) ورصد فضاءاته الشعرية المتشظية إلى مفصلين :

الأول : تنحية الحياة الداخلية عن مواقع الضوء ، والانشغال العميق بهموم المجتمع ، فقد استوعب شعره تجربة اجتماعية (ذاتية

موضوعية) وبنظرة متأصلة تمثل علاقة تعاشق المكان / الوطن والمرأة ، إذ حمل الوطن جرحا موسوما في ذاكرته ، وتطلع إلى المرأة شريكة حقيقية في الذات والواقع ، بتنقلات صورية أطرت شعره .

الثاني : فيضه الذاتي / الأنوي سطّره برؤية جمالية متقدة ، وبإحساس منساب وشاعرية متدفقة ، عبرت عن هم فردي أسبغ لون الأنا على فيوضاته الشعرية .

استطاع (الدليمي) بأداء ذي حيوية صياغية وتعبيرية تتفاهم مع فكرة النص وحساسيتها ، أن يفتح ثغرة مغايرة بين الإبداع وتلقيه بانزياحية الأسلوب والدلالة ، أسهمت في تأسيس قوانين تلق جديدة ، وتمكن أن يشق لنفسه موقفا يضفي فيه مساحة جديدة لميدان النوع الشعري الذي يكتب فيه .

المقدمـــة :

يقال إن الشعر غواية لا تنتهي ، ننطلق من هذه المقولة في دراستنا لـــ " عشاء لملائكة " من مسربين :

الأول : مسرب التلقي – فالغواية هي ما تحدو بنا للغوص في عوالم المجموعة واكتناه أسرار القصيدة فيها وينابيع الشعرية ، ولاشك فـــي أن غواية القراءة تبدأ من العنوان ، الذي اختاره الشاعر عتبـــة للمجموعـــة ، بعدما كان عنوانا لقصيدة فيها ، وإذا كان للعنوان دلالته في متن القصيدة ، فمن المؤكد أن له دلالة أخرى حين يشكل عنوانا للمجموعة ، فالعلاقة بين المكونين اللغويين علاقة تصادم ، فالأول فيزيقي مادي ، والآخر هلامـــي

مجرد ، وبذلك أنتج لنا الشاعر انزياحا دلاليا فاعلا يتحرك حول النص وصولا إلى بؤرته القارة في سياقاته ، وألمح في اختياره هذا العنوان ، احتفاءه بالمتلقين في أن يجعلهم ملائكة ويقريهم بعجله الحنيذ من الشعر، ويكمن هدف قراءتنا في فحص الإمكانات الجديدة التي استلهمها الشاعر من مرجعيات إبداعه ، ورفد بها قصيدة النثر الحديثة .

أما الثاني :- فهو مسرب الإبداع ، .. وما أرى الشعر عند عمر إلا غواية لا تفتر عن الانسياب والتدفق وما يحملنا على ذلك لا الرؤية الشخصية فحسب ، بل ما سطره هامش نسيانه – في المجموعة[1] ، فتلاوين الحياة عنده ضفيرة ينسق الشعر تناقضاتها ، إذ أنه – الشعر – خوف وقلق وجزع فهو يتم ، قداسة وكفر فهو لعنة ، إمرأة وعذاب فهو حب ، دم فهو وطن ، ملاذ وأخوة فهو طفولة ، دمع وخسارات فهو موت ، من ذلك نخلص إلى أن شعره جسدته آه تشظت دلالاتها واتسعت إيماءاتها ما بين طفولة جائعة ، ووطن يعاني جرحا ، وامرأة هاربة ... ولنا أن نتساءل كيف لملم الشاعر هذه التناقضات وشكل هذه اللوحة المتماوجة الألوان ؟ ونحن نجوب في رحاب مجموعته وجدنا شعره تعبيرا إنسانيا يسعى فيه لاستلهام واقعه عبر تخطيط واع أحيانا ، وتأبطه العفوية أحيانا أخر ، في تناول قضايا واقعه الخاص المرتفع به إلى العام ، لقد جعل من (بذور الواقع) كما يسميها جاك بريفير ، أوالواقعية الشعرية

---

[1] ينظر عشاء لملائكة ، شعر عمر الدليمي : ٩ – ١١ .

عند آخرين[٢] ، فضاء شعره عبر ما سجلته ذاكرته من تداعيات،وما حفلت به حياته من أوهام وتناقضات حتى إنماز شعره بخصوصية تحقق الانسجام في نصه ، إنه يلتقط اللحظات الشاردة عن الذهن – أحيانا – ويقدمها بصوغ جديد ينبجس عن دالات تجسد طاقة انفجارية مولدة ، تشكل غاية الأداء في لغة النص . لقد استطاع الشاعر أن يزج المتلقي في أجواء تلق جديدة وفاعلة تجعله طرفا مشاركا وحاضرا ، وكأنه شكل جزءٌ من عذاب التجربة ومحنتها وجماليات تشكلها ، ففي المجموعة قصائد تشتغل بوصفها تجربة معيشة تعمل على إحداث توافق بين تراكمية السيرة الشخصية بكل ماضيها و همومها وطموحاتها – المقتولة – ، وبين صياغاتها الشعرية ونسقها التشكيلي ببلاغة تتشظى دلالات مجازاتها من حيث أن اللغة هي جوهر التجربة الشعرية وآلتها الثقافية[٣] ، فجاءت صوره الشعرية تعبيرا حيا عن القيم واضطراباتها وانعكاساتها في نفسه بلغة تنفتح على مديات الإفصاح بما تستجلبه من تداعيات في انسجام أدائي منصهر مع الدلالة . بمعنى آخر أن مجموعته – إذا أجاز لي الشاعر – يمكن إعادة تسميتها بـ (سيرة اجتلابية لذكريات عمر الشعرية) .

دالات الأداء :

في وقفتنا هذه نحاول الكشف عن ينابيع الإبداع ومرجعيات الخطاب ودالاته في المجموعة ، التي وجدناها تتدفق من :

---

[٢] جماليات الغواية الشعرية ، الدكتور هايل محمد الطالب : ١١

[٣] ينظر ، الفضاء التشكيلي لقصيدة النثر ... ، الدكتور محمد صابر عبيد : ٨٨ .

١ــ الدالة الأولى :

تجربة الشاعر – سيرته . شكلت تجربة الشاعر وسيرته الشخصية رافدا مهما أسهم في تفجير شعريته التي لونت الأشياء بصبغة خاصة ، يتجلى ذلك في غوصه أغوار ماضيه وجوبه غرف ذاكرته الحفية راسما ملامح محيطه الأسري ، فالقصيدة التي تصدرت المجموعة (لكنه مات) ، تجسيد لطبيعة العلاقة بين والديه ، وتشي بصورة ترمل والدته وموت أنوثتها ، عبر لغة تنزع إلى الغنائية في تشكلها الصيغي الذي يخضل بمجازات تومئ بحساسية عالية أسبغت على النص تلوينات متباينة ، من استعارات ممتدة الفضاءات ، وكنايات عميقة المدقات ، مما يجعله بناء رهيفا متماسكا .

يقول على لسان أمه في وصف سياقات حياتها الماضية :

على ضلعه الأيسر قمر يغير ألوانه دائما
على رأسي ليل
في أصابعي تنور
وعلى خصري عقال أبي
...
يفرش تحتي براعم
يعلمني كيف أكاثر التفاح
وأستنسل المياه[٤]

---

[٤] عشاء لملائكة : ٥ .

يشتغل السرد في النص أعلاه مفعلا الزمن فلحظاته المفتقدة في الحاضر تتراجع إلى الوراء لتحضر على خط السرد بماض تسترجعه ذاكرة الأم باستدعائها واقعا فعليا عاشته ، بعدما انتهت أنوثتها برحيل زوجها ، وتحولت إلى أمومة صعبة ، تتحمل فيها هموم يتم أبنائها ، متسربلة بناموس أبيها وشموخه ، إذ يعزز حضور الأفعال (يفرش ، يعلمني ، أستنسل ، يقود) مستوى رمزيا ينطوي على أبعاد دلالية تشير إلى المعلن والمغيب ، وتقترح فضاء شعريا تنهض عليه قوانين النص الشعري .

لقد شكل الماضي بوصفه خزينا ثقافيا ثريا حاضرا في ذهن الشاعر مولدا خلاقا لصوره المتنوعة ، فضلا على ذلك فإن انكساراته النفسية التي خلفتها خيبات الواقع ، أضرمت فيه نار الشعر ، وغدت باعثا لشعريته ،كما تجسد قدرته على التواصل والتأثير في المتلقي الذي يجد صياغة جديدة لماض استدعته ذاكرة الشاعر الفياضة بالصور لينهل منها موضوعاته فيلبسها مفرداته الخاصة المستقاة من معجمه الذي أضفى عليه تكوينه المعرفي والثقافي ما يكسوها جمالا وشعرية .

ولنا أن نمثل ذلك في قصيدتي (مرايا) و (منفيون) ، اذ يرسم لنا أجواء ظروف تاريخية مرت على المجتمع العراقي إبان الحرب العراقية الإيرانية ، ففي قصيدة (المرايا) ، نجده قد فعّل قصه السردي ليومئ بأن المرايا هي ذاكرته البصرية والمرئية ، التي تحفل بصور لمشاهد حسية وأخرى غير حسية ، شكلت لوحة تشكيلية متراكبة اللقطات ، مشعة الومضات ، تربطها ذاكرة زمكانية – إن صح التعبير – فتداعياته

الذاكراتية ، وإن تنوعت مشاربها فهي ذات معطى مكاني مسكون بهاجس ذاكرته وخياله ، وقد جعل من إحساسه بالألم ووعيه بالموت مغامرة كتابية [٥] ، عبر تنقلات تصويرية من حوادث شخصية آلمته كفقده أخيه إلى معاناة عامة ، يستذكرها معه المتلقي بشيء من الألم واللوعة .

ففي(المرايا) يقول :

شقيقي مضى في المرايا إلى الحرب فاندحر العشب يكظم صيف السواقي لأن الحروب لها موعد في السجايا ومرآتها المقبرة.[٦]

في النص وجع ظاهر مُتح من ذكرى فاعلة لا تموت (رحيل شقيقه) ، تمثلت باندغام البنى الكنائية والاستعارية معا (فاندحر العشب يكظم صيف السواقي) و تساوقها في نسق مجازي نقلها من فضاء لغوي معروف إلى فضاء جديد غير مألوف ، يعتمد التغريب والتكثيف .

وتفيض شاعريته بتوصيفات المنفيين الذين رزحوا تحت سطوة الحرب ، في قصيدة (منفيون) :

الرمل شم تلك الخطى فانكمش باصقا سيوفا وبنادق وعناوين أخرى للموت

المنفيون

الذين كانوا خيل مركبة أيلول ١٩٨٠

الذين ترفضهم الخيل

---

[٥] قلق الكتابة قلق الوجود ، آينيس فيرليه ، تر : خضير عباس جزاوي ، مجلة الثقافة الأجنبية ، ع ١ ، ٢٠٠٥ ، ٦٦ .

[٦] عشاء لملائكة : ١٥ .

العائدون من نزق اللوعة إلى لهفة الانتظار
علستهم القطارات وحافلات البصرة وأربيل ...
الذين ما أدركوا غير طبل خلفهم وآخر أمامهم
كلما عادوا وزمجرت الجوامع ...
دماؤهم محاليل لغسل قطع السلاح
وحناجرهم أبواق لإيقاظ ساحة العرضات .[٧]

لقد صنعت موهبة الشاعر أفقا لغويا تتماوج فيه الإشارات عبر صوره الإستعارية والكنائية التي انتقل بها عن تقليدية اللغة إلى مجالات إبداعية مبتكرة في سياق جديد يدعم عطاء اللغة ويضاعف من طاقتها التعبيرية ، وبالقدر الذي يخلق في النص جوا جديدا يخرق الأنساق المألوفة ، فإنه يضفي الإنسجام بين عالمين مختلفين (الحس واللاحس) ، إذ إنه باستعارته التشخيصية للرمل يؤنسنه ، ويخلق له إمكانات استثنائية تجعله في حدود المدرك المحس ،وتقوم صورة (الذين كانوا خيل مركبة أيلول) على تشبيه كنائي ، فقد شبه (المنفيون) الذين لا إرادة لهم بالخيل المنصاعة لمن يسوسها ، وكنى عن سلبيتهم وانعداميتهم بـ (المركبة) بوصفها أداة بيد من يقودها ، والحال هذه تقرر مشروعية انتزاعهم من منظومة القيم والمبادئ فـ (ترفضهم الخيل) تحمل مرّمزا مغيبا فيه إيماء نفاذ ، يتحسسه المتلقي في مفارقة لا تحقق تبادلا مع سياق الصورة الأولى لكنها تنسجم ونظام العرف التداولي ، ويمور النص بفضاء كنائي تجسده الصور (علستهم القطارات ... ، ما أدركوا غير طبل خلفهم ... ، دماؤهم

---

[٧] عشاء لملائكة : ١٩ .

محاليل ... ، حناجرهم أبواق ...) ، مما يؤسطرهم ضمن دائرة السلب والرخص ومجانية الموت .

ويرصد الشاعر – في القصيدة نفسها – صور نساء المنفيين ، اللاتي يكتنفهن السأم مما تلقيه الحرب عليهن من تعب وبؤس ، يقول :

ونساؤهم حاسرات الأرواح
أجسادهن مطعمة بالتمر
...
يعرفن أماكن الإصابات
فيغسلن أختام الحرب بلعابهن
يشربن الفحولة على مرأى الدم المنبجس من أصابعهم
يجعن فيأكلن الغضب [٨]

يرسم الشاعر أطرا عامة لمشهد يومي في فضاء زماني متعلق بظروف الحرب ، ليفتح للمتلقي أفقا تصوره الدوال الحسية التي نهضت بالنص ببناء فني راق لا يكتفي بالتقليدي من النسق بل يؤلف تشكيلا دراميا يتمظهر فيه أداء النساء عبر استعارات مشبعة بالفقر الروحي ، وكنايات تفصح أكثر مما تكني عن وجع نفسي وقهر ذاتي .

٢ـ الدالة الثانية :

ذات الشاعر / أناه : شكلت بعض قصائد المجموعة مرآة انعكست عليها دواخل الشاعر وانفعالاته وأحاسيسه في الحب تجاه المرأة ، كما

---

[٨] عشاء لملائكة : ١٩ .

إن بعضا منها قد أنار نقاطا / بقعا معتمة في حياته .. ففي الزاوية التي يختلي فيها نائيا عن الآخرين وهمومهم ، نراه يعبر عن أنويته بأحلامه وتشع خيالاته ألقا يصور الحبيبة ، فحرمانا تقطر أصابع قصائده ، وعطشا إلى نشوة الوصال يجري نهر ألفاظه ، وإن تقيده بفكرة اللقاء المثير بالحبيبة ومناجاته لها في تحقيق حلمه بالعودة إليه في أغلب قصائده ، يجعلنا نخمن أنه يحاور امرأة واحدة في أكثر من امرأة ، ويرسم صورا لصورة واحدة وربما ضائعة ، إلا أنها تسكن ذاته وتناغي خياله ، وقد مثلت تعابيره المكتظة بالألوان والإيحاءات جسر الوصول إلى أغوار نفسه وتجلية دواخلها ، وهي تمور بوهج مشاعر الحب وفيوضاته ، من ذلك ما نجده في قوله :

دعينا نربي تفاصيلنا ..
أتركي كلمة فوق صمتي
وأكذب حتما إذا ما تهربت من غيمة في يديك
كي أكو ن لك أحتاج سماء من الدمع
وتفاصيل أخرى
لكنك مدغمة بالغياب
دعينا نكون قريبين .[٩]

تُفتتح القصيدة بتراكيب تنتهك النسق اللغوي بإسنادات جديدة تحرك النص نحو الشعرية ، وتنأى به عن سكون المألوف ؛ فترتسم أحاسيس نفس الشاعر وتمنياته بانزياح تشخيصي (دعينا نربي تفاصيلنا) يضفي

---

[٩] تفاصيل وآلهة ، عشاء لملائكة : ٥٣ .

جمالية مستفزة للتلقي ، كما تُؤسس مثيرات نصه على إسناد مبتكر يأخذ فيه خرقه السياق المعتاد شكل التغاير و المفارقة بين الصمت والكلام ، إذ يريد الشاعر أن تصله حبيبته بكلامها و تنقله من صمت الموت من دون الحب إلى نسغ الحياة به ، في (أتركي كلمة فوق صمتي) ، وعلى الرغم من أن ضمير المخاطب في الأفعال (دعينا ، اتركي) يشير إلى حضور المخاطبة / الحبيبة إلا أنها (مدغمة بالغياب) ، فهذا التحول من الجمل الفعلية إلى الجملة الاسمية ، ومن بنية الزمن الذي لم يأت بعد إلى بنية الوقوع المستغرق ، ما يجعل الحضور محكوما بالغياب وقوة هيمنته ، وهذا يؤلف فضاء شعريا يحقق درجة من التنامي والتفاعل الإيحائي للنص وتعميق دواله .

و بأسلوب ساخر نراه يعاني البعد ، ويائس من نسيانها لأن غيابها لا يشغله أي حضور عنده .. ، في :

يا لي من بليد لأني نسيت أنك غائبة

... أشعر أني بحاجة لمليون امرأة[١٠]

وقد تشرب هذا النص رؤية الشاعر نزار قباني للمرأة ، إذ تسربت إليه دلالته عبر تعالق أسلوبي ، وظفه (الدليمي) في عملية صهر وتحويل[١١] ، أضفت على نصه ديمومة حركته نحو إنتاجية جديدة ومتغايرة تحيل على مدلول جديد .

---

[١٠] رسائل SMS لا تصلح إلا لامرأة واحدة ، عشاء لملائكة :٦١ .

[١١] ينظر بنية القصيدة في شعر محمود درويش ، الدكتور ناصر علي :١٢٨ .

وتجول في خواطر الشاعر هواجس الخوف و الرحيل ، وينسج من حضور الذاكرة بكل زخمها سرده الشعري ، في :

تمضي...تمضي
طرقات ومصابيح ومطر...
تمضي
...
وأنا قربك أمسك الليل من جنوحه
طرق وذكريات وخوف ..
وأنت تتأرجحين على ضباب من هموم
...
لا يمكنني إلا أن أشم عطرك على أحلامي وأنا أتذوق الموسيقى...
توضأ الرصيف بخطواتك أنا مشيته متلبسا بك
.. يحلم ، كان الرصيف يحلم[١٢]

إنه يفعّل الفكرة وينميها ليبني نصه على تقنية تراكم اللقطات في الصور، بشكل ينزع فيه إلى التحول التشكيلي ، فيرسم لوحة رحيل الحبيبة وهي تمضي متأرجحة بين الحضور والغياب ، تاركة عطرها على ثوب أحلامه وموسيقاه ، يقتفي خطواتها التي رسمتها على رصيف الذاكرة ، وقد توهجت بالقصيدة طاقة شعورية نابعة من إحساس الشاعر العالي وشعريته على نحو رشيق يتواءم وعناصر البناء الشعري فيها ، فقد

---

[١٢] منسجمان جدا .. أنا وحياتي ، عشاء لملائكة :٦٧ .

استوعب حدث رحيلها وهضمه شعريا بلغة تطفو باستعارات تشخيصية تفعل دينامية الصور ، وبإمكانات أسلوبية وفنية لا يشعر المتلقي إزاءها إلا بعذوبة اللغة وهي تستقل عجلة الرمز مؤلفة نسيجا من الدوال الممكنة القابلة للتصوير والتفاعل مع رموزها لإنتاج فضاء سيميائي مدهش .

٣- الدالة الثالثة :

بيئة الشاعر والموروث الثقافي : تعد بيئة الشاعر والتراث ، ولاسيما الشعبي منه بوصفهما مصدرا مهما يستقي منه تشكيله الشعري ، ملمحا مميزا في أسلوبيته مع الحفاظ على الشعور بالواقع بطريقة فيها من الانسيابية ما ينسجم والبناء النصي عنده ، مما أكسب نصوصه نضارة تحمل إدهاشا للمتلقي .

إن احتفاء قصائده بعوالم بيئته يمكن حمله على حب الشاعر المكاني ، وانغرازه في أعماق نفسه وتعشقه لعناصر بيئته المكانية وتمسكه بجذور مدينته ، ولاشك في أن المكانية – في الإبداع – تذهب أبعد مما نعرفه عن ملامح المدينة المألوفة وتاريخها وحاضرها ، أنها تتصل بجوهر العمل الفني ، إذ يمكن عدها الصورة الفنية التي تذكرنا وتبعث فينا ذكريات الطفولة[١٣] ، فضلا عما تثيره من تداعيات أخرى ، يحفزها النص المكاني ، وما توحيه من دلالات فكرية[١٤] ، فالمكان الذي يعنيه الشاعر هنا على الرغم من واقعيته وحضور مقاييسه الموضوعية[١٥] هو المكان

---

[١٣] ينظر ، جماليات المكان ، غاستون باشلار ، تر : غالب هلسا : ٦ .

[١٤] ينظر ، بلاغة المكان ... ، فتحية كحلوش :٢٤٥ .

[١٥] ينظر ، الشعر العربي المعاصر ...، عز الدين إسماعيل : ١٢٩ .

النفسي الذي رسمه في خياله مرفأ لأحزانه وملاذا وحلما تتحقق فيه آماله ، وهو يتوق عيش تجربته فيه ، ويوحي تجذّر ارتباطه بالمكان بحميمية الصلة به حتى بعد الرحيل ، ففي قصيدة وردة حمراء واحدة نجده يتمنى :-

على ضفة (خريسان) أريد قبري

قرب ذلك الرصيف حيث ابتسم شاب لمطر وبساتين خلفنا[١٦].

إذ يأبى الشاعر الانقطاع عن بلدته ، أنها تسكن خلجات ذاته ، حتى حين يموت يريد قبره على ضفة نهره الخالد العاشق له (خريسان) وفي مدينته التي طالما ذرع أرصفتها متمعنا جمالها مبتسما للامطار وهي تضاحك بساتينها ، وترتبط صورته هذه بعلاقة تناصية/حوارية مع صورة السياب ، تبعث على الحيوية والتجديد وبما يخدم فكرة نصه وينضجها ، يقول السياب مخاطبا الوطن :

إن مت يا وطني فقبر في مقابرك الكئيبة.. أقصى مناي[١٧].

شكّل القبر – في النصين – البؤرة المكانية الجاذبة التي أطرت أمنية الشاعرين ، وإذا كانت الصورة عند السياب تنحو للإتساع بـ (قبر في مقابرك) ، فإن (الدليمي) قد حددها بـ (خريسان) ، لتصبح أكثر تقويضا من الصورة السيابية .

وقد تلون شعره بغنائية المكان / قريته – مدينته ، مما أشاع في قصائده أجواء غناء تبعثها ألفاظ البساتين والأشجار والعصافير ، والنهر

---

[١٦] عشاء لملائكة :٥٧ .

[١٧] غريب على الخليج ، المجموعة الكاملة ، بدر شاكر السياب :١٨١.

(خريسان) ، وهذا يجسد حميمية الصلة وصميميتها بين الشاعر وبلدته ، ويصور ارتباط المكان بالطفولة ، وأول خفقة قلب ، حتى ليبدو لي أنه (سيابي) في حبه لبلدته (بعقوبة) ونهرها (خريسان) .

ومن اللافت للنظر أن الشاعر يمازج بين تغنيه بالمكان / الجزئي – بلدته ، أو الكلي – وطنه ، وبين حضور المرأة ، وكأن حبه لها مرتبطا بالمكان ، أو أنها تجسيد للمكان الذي يحب ، فنقرأ في ملامح الحبيبة وطنا لأن المرأة عنده عالم الجمال الذي يضفي تألقا على المكان ، كما أن تواصله معها انتماء وهوية ، وهذا يلفتنا إلى أن الحبيبة عنده قد تكون رمزا للوطن ، فهما وجهان لورقة واحدة ، ويبدو لي تأثر الشاعر بالنص السيابي بشكل لافت ، فرؤيته للمرأة والوطن /المكان بصورة تلاحمية مستمدة من فكرة السياب التي تجلت بوضوح في قصيدته (غريب على الخليج) ، يقول :

أحببت فيك عراق روحي أو أحببتك أنت فيه

... الملتقى بك والعراق على يدي .. هو اللقاء [١٨]

أن ما أضفاه (الدليمي) على المرأة من صفات المكان الجمالية باستعاراته وإيماءاته يحمل المتلقي على أن يجوب خلف اللغة للامساك بدلالاتها المتشظية ، فيحيل تعاشق الشاعر مع بيئته / وطنه على أن الوطن هو الخيط الدلالي الذي يربط كل شيء و يشده إليه ، يقول في قصيدة (بساقين من خشب أرتقي نخلة النار) :

أصابعك الطويلة الأظافر

---

[١٨] المجموعة الكاملة ، السياب : ١٨٢ .

تلك المطلية بالعسل
أصابعك الطويلة ذاتها تحرك صوان " كه لاله " المترسب مصادفة في دمي لكني أنهار في فزع الجوقة فأنسف القنطرة الوحيدة .
...
وحين ألقيت بساقين من خشب خطوتي
أدركت أن " جسر الشهداء " سيكون حصاني الجديد
...

هناك على قمة جبل " كوره دي " انتشلت حماقتي واصطدت خوفي ... تريزا .. البحر – الجبل ، وأنت ما بين كهوفي تبحثين عن قمر من الثلج أو من دوار ... كان البحر معي على قمة جبل " كرده كو " فاتفقنا على طرد النوارس .[١٩]

إن هذه المزاوجة بين المكان والمرأة ، شكلت آفاقا من الامتداد نوعت انطلاقته الشعرية ، وأضفت على أدائه سلاسة بلغة تجذر بلاغي هيمن عليه التوغل الاستعاري المنساب في البنية الكنائية ، وبهذه اللغة الشعرية تتجسد طوبوغرافيا المكان عبر عدّة مقاطع كل مقطع يرصد جزئية معينة من مكان ما ، وقد تماهت ذات الشاعر فيه من خلال تداخل ضمير الأنا بلقطات مكانية ، كل لقطة فيها مرتبطة بالصورة الكل والتشكيل المكاني العام ، فتضافرت هذه اللقطات لمؤازرة بؤرة النص في التعبير عن جامع واحد هو الوطن .

وقد يلقي حضور الطبيعة بظلال مفرداته على التشكيل الشعري عند " عمر " ، وفي هذا النزوع الغنائي الرومانسي ما يستجلي شعريته ويقدمها

---

[١٩] عشاء لملائكة : ٢٥ .

رقيقة متماسكة البناء ، ولاسيما أنه يطعم صياغاته الشعرية باللغة المحكية أحيانا (نخلات منديل- التخت ، الكاولية ، الشفتاوية) ، وكأنه يجسد لنا في سرده سيرة للمكان احتوت ذكريات أصبحت العودة إليها بفعل الزمن محالة غير أنها حاضرة في خياله ، مما يبرز جماليات بنائه النصي ويحقق تأثيره في المتلقي ، ونرصد ذلك في قصيدة " هو الذي رأى" :

سعدت تخوت الأعمام وعمرت الليالي بالرنين ومسح الشوارب
لكن يا صاح لماذا صرت تقضم ندمك كفأر ؟
أليس المساء دنك المبرقش برقص الكاولية ؟.[٢٠]

فاستعمال الشاعر على نحو واع لتراث مدينته الشعبي حمل إليه حيوية وإحساسا بالواقع ، وأغنى نصوصه بدالات توحي بالحميمية وقوة الترابط بين الشاعر والبيئة ومن ثم مع المتلقي ، وهذه واحدة من مجالات الخبرة الانسانية التي تحقق حضورا على صعيد اللغة وبناء النص .

بقي أن نعرج على الخزين الثقافي للشاعر حين يستقي صوغه ومعانيه من منظومة الدين والتراث الادبي والتاريخي ، وقد تجلى الحضور الديني والتاريخي في سياقات نصوصه بشكل جلي ، وقد تجاوزت إفادته الأسلوب إلى دوال ذات معطى جديد ترفد النص بمعان موحية نقلت دلالات العرف إلى دلالات الفن ، ففي قصيدة " أملاك " نجده يقتبس المعنى الديني والتاريخي بتوظيف فني مبتكر يعمل على تغيير لغة التعبير إلى لغة خلق وعلى وفق رؤيته الخاصة .

يقول :

ذاك النعش الملائكي من مالكه سوى عويلنا ؟

---

[٢٠] عشاء لملائكة :٣٧ .

فلكي لا تتلصص قطط الشغف علينا أكرمي المثوى* الفرعوني لجثتنا المهذبة.[٢١]

قفل لبرية روحي وآخر لضياء جسدك المشتبه باخناتونيته .

لأني سأخبئ الأعشاش

سأخبئ العصافير و (من كل زوجين أثنين)**[٢٢] ، وفي قصيدة (مرايا) [٢٣] ، يقول :

الشبيه لديه سؤال وأنت مضيت مودعة قلق الحروف مقلوبة تنز الضجر، الله لا إله إلا هو***

..... أحيانا تصبح كاريكتورست ثم تبيض الوجوه **** على الطاولات

وقد تأثر الشاعر بأفكار بعض الأدباء وتناص مع مواقفهم من ذلك استقاؤه شخصيات رواية جورج امادو " تريزا باتستا " في قصيدة (بساقين من خشب أرتقي نخلة النار.[٢٤]

---

[٢١] المصدر نفسه : ١٥ -١٦ .

* يتناص مع المعنى القرآني في سورة يوسف : ٢١ ، حين طلب عزيز مصر من زوجه أن تكرم مثوى يوسف عليه السلام

** مقتبس من سورة هود :١١ ،وسورة الرعد :١٣ .

[٢٢] أملاك ،عشاء لملائكة :٣٧.

[٢٣] عشاء لملائكة :١٥-١٦ .

** * مقتبس من آيات الذكر الحكيم ، منها على سبيل التمثيل : البقرة : ٢٥٥ ، آل عمران : ٢ ، التوبة : ١٢٩

**** يتناص مع المعنى القرآني في سورة آل عمران : ١٠٦ ، حين تبيض وجوه المؤمنين .

[٢٤] عشاء لملائكة :٢٦-٢٨ .

لقد استغل الشاعر هذه التناصات الدينية والأدبية – التاريخية ، كقيم جمالية لتقديم صوره الحافلة بالرموز والمنفتحة على الظلال والإيحاء وإثارة التصورات لدى المتلقي ، بوصفها – الرموز والإشارات الدينية أداة لغوية تحمل وظائف جمالية عندما تسهم في تشكيل تجربة الشاعر على نحو مؤتلف مع مكونات النص الفني[٢٥] وما نعنيه هنا ، لا حشده الأسماء والأشارات الدينية والتاريخية بألفاظ بعينها ، وإنما ما جسدته قدرة توظيف الشاعر لتناصاته المتنوعة والمضمنة في قصائده من قابلية على تحويل هذه الإشارات إلى معان مرتبطة بتجربته الخاصة.

معلوم أن القصيدة النثر الحديثة قد أفادت من السرد في توظيف الشعراء لتقاناته فيها إلا إن مجموعة عشاء لملائكة قد اكتفت من هذا التوظيف الذي يضفي غنى على جماليات الشعر بأسلوب سرد ، يتخذ من السرد الموضوعي الذي يكون فيه الراوي الشعري (الشاعر) متخفيا أداة في صوغ قص المجموعة ، بشعرية كثيفة ترتفع بحساسية الحادثة الشعرية الى مصاف البلاغة في التعبير والتصوير والترميز[٢٦]، على الرغم من أن أجواء المجموعة مهيأة لحضور بعض التقانات الأخرى من مثل الحوار بين الشخصيات والسرد الذاتي ، والاسترجاع او الاستباق .

أخيرا وجدت عمر في مجموعته قصيدة قد كتبت نفسها .

---

[٢٥] جماليات الأسلوب : فايز الداية : ١٧٥ .

[٢٦] ينظر الفضاء التشكيلي لقصيدة النثر : ١٣٨ .

الخاتمـــة :-

١ - شكل الشعر عند عمر الدليمي آها تشظت دلالاتها إلى تنويعات مـن الأحلام والهموم والتناقضات والانكسارات .

٢- تمكن البحث من تسليط الضوء على ينـابيع الـشعرية ومرجعيـات الخطاب في المجموعة التي إنشطرت إلى :-

أ- تجربة الشاعر/ سيرته الشخصية أسهمت بشكل لافـت فـي تفجيـر الشعرية لديه.

وقد شكل الماضي بوصفه خزينا تراثيا وثقافيـا محفـزا لـصياغاته الشعرية التي جسدتها صوره المتنوعة .

ب- ذات الشاعر وأنويته تعد رافدا مهما ومولدا خلاقا في إثراء تجربتـه الشعرية وصوغه الشعري ، حتى كانت بعض قصائده مرآة انعكست عليها دواخله وانفعالاته وأحاسيسه في الحب تجاه المرأة .

ج- بيئة الشاعر والتراث ، تجلى من البحث أن الشاعر يستقي من البيئة والموروث (الشعبي والديني والادبي) صوره الفنيـة وصـياغاته الشعرية ، وقد شكلا ملمحا مميزا في أسلوبيته مع حفاظه على درامية الشعور بالواقع بطريقة فيها مـن الانـسيابية مـا ينـسجم والبنـاء النصي عنده .

٣- يرتبط المكان بالمرأة - في شعر الدليمي - بصلة وثيقـة ، إذ يحيـل أحدهما على الآخر وكأنهما وجهان لورقة واحدة .

٤- كشف البحث عن قدرة توظيف الشاعر لتناصـاته الدينيـة والادبيـة والتاريخية في قابليته على تحويل هذه الإشارات إلى معان مرتبطة بتجربته الخاصة .

المصـــادر :

١- بلاغة المكان ، قراءة في مكانية النص الشعري ، فتحية كحلـــوش ، دار الانتشار العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨ .

٢- بنية القصيدة في شعر محمود درويش ، الـــدكتور ناصـــر علـــي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ،٢٠٠١ .

٣- جماليات الأسلوب ، الصورة الفنية في الادب العربي ، فايز الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٠ .

٤- جماليات الغواية الشعرية ، قراءة في التجربة الشعرية للشاعر صقر عليشي ، الدكتور هايل محمد الطالب ، دار الينابيع ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١١ .

٥- جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا ، المؤســـسة الجامعية للنشر ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٢ .

٦- الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنويـــة ، دار الفكر العربي – مصر ، ١٩٧٩ .

٧- عشاء لملائكة ، نصوص شعرية ، عمر الدنيمي ، كتابات عراقيـــة ، شركة كوزللو التركية ، ط ١ ، ٢٠١١ .

٨- الفضاء التشكيلي لقصيدة النثر ، الكتابة بالجسد وصراع العلامات ، قراءة في الانموذج العراقي ، أ.د محمد صابر عبيد ، سلسلة نقد ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٠ .

٩- قلق الكتابة قلق الوجود ، آنييس فيرليه ، تر: خضير عباس ماذي ، مجلة الثقافة الأجنبية ، عن دار الشؤون الثقافية - بغداد ، ع١ ،٢٠٠٥ .

١٠- المجموعة الشعرية الكاملة ، بدر شاكر السياب ، دار مية ، سوريا - دمشق ، ٢٠٠٦ .